المصـــــدر : عكاظ
التـــاريخ : 13-08-2006
الصفحـات : 21
العـــدد : 14596
المسلسل : 158

عودة التوازن المفقود.. إلى المنطقة

هاشم عبده هاشم

تمكن الملك عبدالله بن عبدالعزيز بزيارته لتركيا في الفترة الواقعة ما بين ١٤- ١٧رجب ١٤٢٧هـ الموافق ٨-١١ من اغسطس ٢٠٠٦ من دمج هذه الدولة الاسلامية الكبيرة في قضايا المنطقة بصورة اكبر واقوى من ذي قبل.

الملكة وتركيا نقطة ارتكاز هامة في توازن المنطقة

> الانتقال بالتعاون من مرحلة تبادل المصالح المحدودة إلى استراتيجية التمكين للبناء والتنمية بمواجهة الهدم والتدمير

> دور اقليمي بارز للاتراك في المرحلة القادمة
>
> الشراكة الثنائية تفتح آفاقاً واسعة أبعد من الاقتصاد

المصـــــدر : عكاظ
التـــاريخ : 13-08-2006 العـــدد : 14596
الصفحـات : 21 المسلسل : 158

** ذلك ان وجود تركيا ذات الموقع الاستراتيجي الحيوي بين اوروبا وآسيا بمعزل عن قضايا منطقة الشرق الاوسط هو أمر غير طبيعي وبالتالي فانه يفقد العرب بصورة خاصة قوة كبيرة ومؤثرة في الوقت الذي كان علينا ومنذ وقت بعيد ان نعرف كيف نستفيد من وجودها، ومن حجم علاقاتها الخارجية الواسع وكيف نوظفه لصالحنا.

** فالدولة التي تتطلع الى الانضمام الى المجموعة الاوروبية وتعمل بقوة من اجل ان تكون كذلك، في الوقت الذي ترتبط فيه بعلاقات واسعة وعميقة مع دول البلقان من جهة ومع الدول الاسلامية من جهة ثانية، هذه الدولة كان علينا كعرب ومنذ وقت طويل ان نعمل على استقطابها.. عاطفيا.. واقتصاديا.. وثقافيا لاسيما ان هناك قواسم مشتركة كثيرة تجمعنا بها.. وتوفر الحد المطلوب من التكامل والتعاون معها.. وفق اسس قوية ومتينة وشاملة ايضا..

** لقد كان السؤال المطروح دائماً هو:

* هل نترك العقدة التاريخية الموروثة بين العرب والاتراك على حالها.. ولا نعمل على معالجة ترسباتها.. حتى بعد ان توفرت ظروف جديدة.. من شأنها ان توفر ارضية جيدة للعمل والتعاون المشتركين.. أم ان علينا ان لا نفتح الجروح من جديد..

ونترك لهذه الدولة الكبيرة ان تمضي بعيداً عنا لاسيما بعد ان وجدت ان خيارها الافضل يتمثل في التوجه اكثر نحو دول اوروبا الغربية والاندماج فيها.. والتفاعل معها بدلا من الانغماس مع محيطها الاسلامي والاقتراب من البيئة العربية المجاورة لها.. والتأثر بأوضاعها.. بعيداً عن الدوران في فلكها ودفع ثمن الغرق في دوامتها بدلا من الانصراف الى التنمية والبناء والتقدم والتطوير لمجتمعها ورفع مستوى الحياة لمواطنيها..؟

** هذا السؤال الكبير.. قابله الاهمال العربي للدور التركي وهو اهمال افقدنا كعرب قوة مؤثرة من جهة.. واتاح الفرصة لقوى اقليمية اخرى ان تدخل الى الساحة العربية وان توسع من دائرة طموحاتها.. بل وان تصبح لاعبا اساسيا لايمكن التنبؤ بما قد تسفر عنه حساباتها..

وان كان من الواضح ان المنطقة مرشحة للتعرض لمزيد من الاضطراب بفعل تداخل تلك الاطراف مع قضاياها بصورة سلبية ولعبها ادوارا خطرة يتوقع لها ان تقود المنطقة الى دمار اكبر.. وفوضى اشد.. وفراغات غير محسوبة إن هي لم تتوقف عنها.

** ذلك هو التحليل الموضوعي الذي يراه المراقبون المهتمون بحركة العلاقات العربية مع الاطراف الاقليمية الاكثر استعداداً للقيام بدور ما تجاه الاحداث والتطورات التي تشهدها او ستشهدها المنطقة.

** اما المنظور العملي الذي ينطلق منه الملك عبدالله بن عبدالعزيز.. فهو يقوم على اسس وحسابات اخرى، تعتمد على وحدة العقيدة.. وتكامل النسيج الثقافي.. وتواصل التاريخ المشترك لامة تركية عاشت كل هموم المنطقة وتقلاتها التاريخية كما لم تعشها امة اخرى من قبل..

ولئن شاءت الظروف ان تباعد بيننا وبينها، الا أن منطق التاريخ وعنصر الدم.. وتوحد العقيدة.. لابد ان يعيد الى الأمتين التركية والعربية اواصرهما المتينة.. فكيف ونحن العرب ندرك مدى ما تتمتع به تركيا الآن من قوة عسكرية واقتصادية وثقافية تقترب بها من عداد الدول المتقدمة والواعدة..

** ان المبادئ الاساسية التي ينطلق منها الملك عبدالله.. لاقامة شراكة ذات طبيعة استراتيجية مع دول العالم الاخرى.. تتوفر جميع عناصرها في الدولة التركية.. وتتجسد من خلال موقعها الاستراتيجي ونمط التفكير الذي يسودها ومن سعيها الحثيث الى اثبات وجودها ليس كقوة اقليمية قوية فحسب ولكن كقوة دولية يحسب لها في المستقبل القريب الف حساب..

** ولا نعتقد ان هناك مبالغة كبيرة في التصور التركي لان تصبح كذلك خلال العقد القادم.. وان كنا نعتقد ان الاتراك يحتاجون للوصول الى هذه الغاية لتحسين مستوى اقتصادهم بالاعتماد على قوة اخرى تمتلك من القدرة والطموح ما يساعدهم على الوفاء بالتزاماتهم الداخلية والخارجية بصورة افضل.

** ومن اجل ذلك.. فان الاتراك سعدوا كثيراً بهذه الزيارة..

وبالتوجهات التي يملكها الملك عبدالله.. واستمعوا اليها منه بكل اعجاب.. ووجدوا فيها الكثير مما يتمنون ويرجون.

** ولذلك فان تركيز الرئيس التركي احمد نجدت سيزار وروئيس وزرائه رجب طيب اردوغان على مبدأ توفر ارادة مشتركة بين البلدين لاقامة شراكة ضخمة.. قد تجسد في الاهتمام الواضح بالزائر الكبير وفي التعبير خلال الجلسات الرسمية.. وكذلك عبر اللقاءات المفتوحة عن تطلعاتهم العريضة لتوسيع نطاق اوجه التعاون معنا بصورة اساسية.. ومع بقية الدول العربية المحيطة بهم بصورة عامة.. وهو ما سعى اليه الملك عبدالله.. واكد عليه خلال مباحثاته معهم.. عندما لم يقصر مناقشاته.. وحواراته.. ومداخلاته على التركيز فقط على العلاقات الثنائية ولاسيما الاقتصادية منها والفنية فحسب، وانما دعاهم بصورة متكررة الى ضرورة لعب دور فعال وايجابي واسع بالنسبة لقضيتي لبنان وفلسطين وسواهما.. وتوظيف علاقاتهم الاقليمية بصورة افضل في هذا الاتجاه..

** ولانستبعد ان يقوم موفد تركي كبير او اكثر في الايام القليلة القادمة باتصالات

المصـــــدر : عكاظ
التـــاريخ : 13-08-2006 العـــدد : 14596
الصفحـات : 21 المسلسل : 158

وتحركات وزيارات عديدة، سواء في داخل الاقليم او خارجه لانضاج ظروف افضل من شأنها ان تعيد قطار السلام والاستقرار في المنطقة الى الجادة.. والعمل على ايقاف نزيف الدم.. واعطاء الفرصة للعمل السياسي وعدم الاستجابة للاعمال الأخرى.. بتغليب الخيار العسكري لحل المشاكل الراهنة.. وتصحيح الخطأ في الفهم.. والموجود لدى اسرائيل بدرجة اساسية بأن توسيع نطاق الحرب واستخدام القوة.. وتغليب منطق الخيار العسكري من شأنه ان يحقق لها الامن.. ويبعدها عن الاخطار.. ويجنبها اي مفاجآت في الوقت الذي كان عليها ان تدرك ان التوسع في الاخذ بهذا الخيار سوف يقضي على كل الفرص الممكنة للحل.. وابعاد المنطقة عن الاخطار.. بدل أن يقودها الى استخدامات اكثر تدميرا في ظل التصعيد والتهور وانقلات الاعصاب والوصول الى حالات اليأس القصوى..

** هذه الحسابات الدقيقة.. والتي تأخذ - في الاعتبار - بكل التوازنات والتوقعات والاحتمالات، قد تعالج عقدة الخوف الاسرائيلية.. وقد توقف نهم السياسات العدوانية لديهم.. متى ما ادركوا حقيقة ما يمكن ان تؤدي اليه سياسات، التصعيد للخيار العسكري.. من اخطار لن تستثني احدا..

** وفي الوقت نفسه.. فان الاتراك باتوا يدركون الآن اكثر من اي وقت مضى ان عليهم ان ينهضوا بدور اقليمي اكبر.. في الصراع العربي الاسرائيلي.. بالسعي الى التهدئة بين الفلسطينيين والاسرائيليين.. لانه لا مصلحة لاي طرف في استهلاك جميع فرص السلام.. وهي فرص ثمينة بالغت اسرائيل كثيرا في استنزافها وسوف تدفع هي ثمنها أكثر من غيرها ان هي مضت في سياستها الراهنة.. وتجاهلت جميع النصائح بالعودة الى جادة العمل السياسي الهادئ وتعاونت مع السلطة الفلسطينية ولم تتعهد احراجها.. وتجاوبت مع الدولة اللبنانية وسلكت طريق العمل السياسي معها.

**غير ان تركيا.. وفي ضوء قناعتها بضرورة الاضطلاع بدور حيوي في التعامل مع قضايا المنطقة، بدل الانصراف الكلي ناحية اوروبا كانت تنتظر وضوح الرؤية بعد صدور قرار من مجلس الامن تجاه ما يجري الآن في لبنان حتى ترسم خط سير اتصالاتها وخارطة عملها الجديدة وأداء دورها المرتقب على الساحة الشرق اوسطية خلال الأيام القليلة القادمة.

** وفي الوقت نفسه.. فان الاتراك يمتلكون نفس المخاوف التي تشعر بها سائر دول المنطقة وفي مقدمتها دول مجلس التعاون الخليجي تجاه تصعيد المواجهة المحتمل بين ايران وكل من اوروبا والولايات المتحدة الأمريكية ولاسيما بعد قرار مجلس الامن الخاص بالاستخدامات الايرانية للقدرات النووية الخطرة وتحديد مهلة لايقاف تخصيب اليورانيوم الايراني..

** ذلك ان الاتراك، فوق انهم يعتبرون هذه القدرات خطرا عليهم بصورة مباشرة.. فانهم ينظرون اليها على انها تشكل مصدر تهديد للامن والسلام في المنطقة والعالم، كما انها يمكن ان تستخدم كعامل ضغط في فرض وصاية من نوع او آخر على دول مهمة اقليميا.. تتعاطى تركيا معها وتتعامل بصورة مباشرة في منطقة البلقان، وهي المنطقة التي تشهد تنافسا يصل الى حد الصراع بين البلدين لحرص كل منهما على الاحتفاظ بأكبر قدر ممكن من اوراق اللعبة هناك في يديه.

** هذه المخاوف وغيرها ستؤدي - كما لمسنا - الى تمثل تركيا سياسات من شأنها احداث توازن عسكري.. وربما يحد من خطر المغامرات اللامتوقعة.. لاسيما بعد دخول تركيا-بصورة مباشرة - الى الساحة الشرق اوسطية، كقوة فاعلة ومساندة لعملية السلام والاستقرار في المنطقة بمواجهة قوة مشجعة على القلاقل واحداث المزيد من التوترات واستخدام بعض الاطراف لاثارة حالة من المواجهة الهادفة الى الابقاء على المنطقة في حالة قلق واضطراب مستمرين، مما يزيد الشعور لدى بعض اطراف اللعبة الى الحاجة لهذه القوة المساندة للعنف.

** تركيا اذا.. تستطيع - من وجهة نظر المراقبين في انقرة وخارجها - ان تقلل من مخاطر التدخل الاقليمي في المنطقة، لما تمتلكه من امكانات وقدرات عسكرية وشبكة معلومات وعلاقات واسعة تستطيع من خلالها ان تفرض مستوى من التوازن ومن ثم التقليل من حجم الاخطار والمغامرات لصالح اقرار السلم وتحقيق ظروف افضل لاستقرار شامل..

باعتبارها طرفاً مقبولاً اقليمياً.. وغير مرفوض امريكيا او اوروبيا..

***

** من اجل ذلك.. فانه يمكن القول ان المملكة قد ادركت ان الوقت الحاضر وفر فرصة ملائمة لتوسيع آفاق التعاون والتعامل العربي مع تركيا.. استثمارا للرغبة التركية القوية نحو تطوير تعاونها مع دول المنطقة العربية وفي مقدمتها المملكة، الامر الذي شجع على قبول الدعوة لزيارتها وعقد اتفاقات هامة معها..

** ولاشك ان الملك عبدالله.. بحسه القومي.. وعروبته الاصيلة.. وتكوينه الاسلامي العميق.. قد استطاع - خلال هذه الزيارة - ان يجسر الفجوة بين العرب والاتراك.. وان يقيم جسراً أقوى يتشكل من الثقة والمصالح المشتركة بين المملكة وتركيا، تمهيداً لتوسيع القاعدة حتى تشمل اطرافا عربية بارزة تحمل نفس الدوافع وتتفق معنا في نفس الحسابات وتسعى الى جلب السلام والامن والهدوء الى المنطقة.. وفي مقدمتها جمهورية مصر العربية.. ودول مجلس التعاون الخليجي والاردن لتشكيل قوة توازن قادرة على تحقيق التهدئة المطلوبة التي تتطلع اليها شعوبنا.. حتى تتفرغ لبناء نفسها وايقاف عمليات الاستنزاف التي تؤدي اليها سياسة اشعال المنطقة وتفجيرها بالمزيد من الحروب وما تؤدي اليه من تدمير.

** ولايرى المراقبون ان هذه المجموعة العربية كنواة يلتحق بها كل العرب المؤمنين بضرورة التوجه نحو التنمية والبناء.. بدلاً من المواجهة والتدمير..

المصـــــدر : عكاظ
التـــاريخ : 13-08-2006 العـــدد : 14596
الصفحـات : 21 المسلسل : 158

تشكل محورا بمواجهة محور.. بل على العكس من ذلك فهي تكون مجموعة عمل مخلصة تسعى الى المحافظة على مكتسبات الدول والشعوب وتوظيفها لحل مشاكلها الداخلية، وتعزيز فرص التنمية والاصلاح. وبصورة اخرى فان هذه المجموعة العربية الفاعلة بالتعاون مع تركيا تستطيع ان تكون مجموعة عمل نحو التعمير بمواجهة اي سلوك من شأنه ان يقود المنطقة الى مزيد من التدمير والقتل واستهلاك الطاقات ودفع المنطقة الى الانفجار من الداخل وتسليمها لخطط خطرة لاتريد لها الخير ولاتؤدي بها الى القوة الكافية بمواجهة الاطماع الخارجية المتزايدة.

***

** من هذا المنطلق.. فان الزيارة التي اثمرت الكثير من الايجابيات وعلى كل المستويات.. تعتبر زيارة تاريخية.. ونقلة حقيقية نحو توازنات بناءة من شأنها ان ترسخ قواعد الامن والاستقرار في المنطقة.. بعيدا عن العنف.. والارهاب.. والانهيارات الاقتصادية.. وحالة التردي الاجتماعية.. التي تعاني منها المنطقة.

** لقد كان الملك عبدالله.. صريحاً وواضحاً مع الاتراك.. حين تحدث اليهم عن ضرورة تفعيل دورهم الاقليمي.. بالعمل كقوة اسلامية.. وصديقة.. تمتلك ادوات كثيرة للعمل الايجابي..

كما كان صادقاً وصريحاً معهم كعادته، في ان اوجه التعاون بيننا وبينهم..

وكذلك بينهم وبين كل العرب يمكن ان تتطور ان هم استطاعوا ان يوظفوا موقعهم الجغرافي الهام ودورهم السياسي على الساحتين الاوروبية والاسيوية وكذلك الساحة الاسلامية مستخدمين في ذلك قواهم المختلفة، الامر الذي جعل الاتراك يربطون بين مفهوم الشراكة الشامل الذي يسعى الى تكريسه الملك عبدالله.. وبين مصالحهم الكبيرة والعريضة مما دفع المسؤولين الاتراك الى الاقتناع بأن هذه الشراكة ستحقق لهم اهدافاً أبعد من حدودها الاقتصادية المحدودة مهما كان عائدها ومردودها المادي.. فاندفعوا بكل قوة.. وعبروا عن استعدادهم المفتوح لتنفيذ التصور السعودي الهادف الى خدمة قضايا الأمة ودعم جهود السلام في لبنان وفلسطين والعراق وتوجيه جميع الطاقات نحو البناء والتنمية بايقاف (العنجهية) الاسرائيلية عند حدها.. ولجم طموحاتها والحد من تطلعاتها الواهمة نحو اقامة اسرائيل الكبرى.. وايقاف تزيف الدم.. وأخطار الإرهاب المتعمد.

***

** تركيا من جانبها إذاً بدأت تخطط لمراجعة سياساتها وخططها وبرامجها حتى تكون جاهزة خلال ثلاثة اشهر من الآن للقيام بأدوار متعددة.. تخدم مصالحها بالقدر الذي تعزز فرص العمل البناء من اجل سلام واستقرار دائمين في المنطقة، لاسيما بعد ان ادرك الاتراك ان حالة الاضطراب في المنطقة لن تستثنيهم.. ان هي لم تجعلهم وقوداً سهلاً لحالة الغليان التي يمكن ان تنتشر في ظل استمرار سياسة التصعيد.

***

** لقد كان الاتراك مشغولين الى جانب فرحهم بالآفاق الجديدة التي فتحت امامهم عبر هذه الزيارة الهامة بقضيتهم المعقدة في قبرص وهي القضية التي لن تغفلها المملكة من أجندتها وقد تكون على رأس قائمة الاهتمامات التي ستتعامل معها بصورة مختلفة وتقدم نحوها افكاراً جديدة.. وتتحاور بشأنها مع جميع الاطراف ذات العلاقة في اطار تحركاتها السياسية الواسعة..

** وقد تكون اليونان - في المستقبل القريب - احدى المحطات القادمة لبرنامج الشراكة والتعاون الدوليين مع المملكة في الاطار السياسي ايضا.

** على اية حال.. فان الشأن الاقتصادي والتجاري الذي شهد تظاهرة واسعة جمع بين اكثر من (٣٠٠) من رجال الاعمال السعوديين والاتراك.. هذا الشأن سيكون بمثابة قوة الدفع نحو مستقبل الشراكة المتعدد الاغراض بين البلدين.. وسوف تشهد الرياض وانقرة حركة اتصالات وزيارات متبادلة وموسعة خلال الشهرين القادمين من شأنها ان تثمر عن بحث آليات وتفاصيل التعاون وبرامجه الموسعة.. ومشاركة تركيا بصورة مباشرة في مشاريع التنمية الواسعة التي تشهدها المملكة بدخولها القوي في بناء المدن الاقتصادية الجديدة.. واقامة سلسلة مشاريع صناعية واقتصادية كبيرة.. بما فيها المشاريع القائمة على المواد التحويلية الضخمة.. وان كان الأتراك حريصين أيضا على تشجيع رأس المال السعودي الى الذهاب اليهم والاستثمار في بلدهم وهو ما تشجعه المملكة أيضاً.

** وكما قال لي أحد المسؤولين الاتراك البارزين.. فإن المستقبل واعد بعلاقات تعيد الى الاذهان جوانب مشرقة في العلاقة العربية- التركية.. بل ان ما يميز هذه المرحلة هو أن الاتراك والعرب قد تعلموا الكثير من الماضي، وامتلكوا الآن طموحات جديدة.. تتلاقى في محور اساسي واحد.. هو العمل من أجل البناء.. والتنمية في ظل السلام.. والتعاون والشراكة البناءة وليس غيرها.